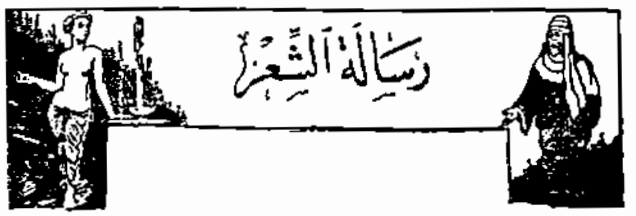

من أدب الحرب

محنة فرنسا

للأستاذ محمود غنيم

رحماكَ ربِّ إلام نصلى نارَها ؟ فنىَ العباد ولم تضع أوزارَها
غابت ملائكة السلام وأصبحت تذرو أبالسة الجحيم غبارها
قبضتْ على سكانها يدُ مارد جعل الصبيب من الدماء بحارها
رقطاء جول الكون لفّتْ جسمَها فقضت عليه وما قضت أوطارها
فى كل واد ثورة مشبوبة لا يطفئُ البحرُ الخضم شرارها
حتى كأن الأرض من إعيائها سكنت وأخطأت النجوم مدارها
كتب الفناء على البرية ويحهم ما بالهم يستعجلون دمارها ؟
زمر من الأسماك ناطقة إذا ماجاءت ازدرد الكبار صغارها

* * *

حرب رأيتُ الجوع بعض سهامها فرضت على المتراشقين حصارها
غدت الجبال الشامخات سفينها والزاحفات من الحديد سهارها
الزيت والبترول من آلاتها والعلم ينفخ إن خبت أكوارَها
قد سيِّرت فوق الثرى دبَّابها وإلى الكواكب صعّدت طيارها
ملأت قذائفها المحيط فعكرت زبد البحار وكدرت أغوارها
يا بحر ما فعلت مياهك ويحها برئات قوم يسكنون قرارها ؟
كم لابن آدم فى المحيط عجائبا قلَّتْ عجائبه الكثيرة جارها
ضجت بنات الماء منه وأوشكت تجفو الطيور لأجله أوكارها

* * *

يا رُبَّ شعب فى حماه وادعٍ جرفته لجتها تخاض غمارها
ومحاربين لغيرهم أسلابها لكنهم يتحملون خسارها

وذوى عروش طوحت بعروشهم وتخطفت من حولها أمصارها
تتطاير التيجان عن أربابها كالقِدر ترسل فى الفضاء بخارها
عبر على مر القرون تشابهت حتى أجاد العالم استظهارها
ورواية من عهد ذى القرنين ما برح الزمان مردِّدًا أدوارها
أو كلما كادت تتم فصولها منيت بشيطان يزيح ستارها ؟

* * *

سائل ضفاف السين كيف استهدفت للغزو واقتحم العدا أسوارها ؟
خط حسبنا الجن لو طافت به ولت أمام حصونه أدبارها
أترى فرنسا أطبقت أجفانها من خلفه وتجاهلت أخطارها ؟
هيهات لا الحصن المنيع أقالها كلا ولا الأدب الرفيع أجارَها
لا تعدم المرآة كسر زجاجها يومًا وإن كان الحديد إطارها
إن العاقل لا تحصن أهلها ما لم تحاكِ طباعُهم أحجارها
قالوا : مهادنة . فقلنا : حبذا لو أن هدنتها تقيل عثارها
هيهات ما أرضت بذاك خصومها كلا ولا استبقت به أنصارها
ماذا تقول إذا الجدود تعثرت وإذا المشيئة أنفذت أقدارها ؟
وإذا قضاء الله أحدق بالشرى لم تلق آساد الشرى أظفارها
كالوا اللئام لها فقلت : تريثوا يا قوم والتمسوا لها أعذارها
أو ما كفاها أنها ما سلمت حتى روت بدمائها أنهارها ؟
إن قيل عار أن تسلم أمة نهض الدم المسفوح يغسل عارها
إنى لأشفق أن يكون مصيرها أزرى بجوهرها وشاب نضارها
ومحا محاسنها فمدن مساوئًا وأحال لؤلؤها فصار محارها
من يكبُ لم تعذره عثرته ومن ينهضْ تقلده الأعادى غارها
والنفس تُعجب بالقوى وإن يكن جلادَ تلك النفس أو جزارها

* * *

أسألت باريس الجريحةَ مالها ؟ سل أهلها هل قاوموا منهارها ؟
سلها بربك كيف ذل عزيزها وتحملت أسد العرين إسارها ؟
كيف الغوانى والمغانى بعد ما طمس المغير بجيشه آثارها ؟
بالله هل عاث العدو بأرضها وهل استرقَّ ببأسه أحرارها ؟

ماذا أصاب مدينة الأزياء هل ... أبلى القتال المستحرُّ إزارها ؟
هل أظلمت آرادُها ولطالما ... حسد النهار وشمسه أسحارها ؟
وهل الخبايُ أصبحت مأوى لمن ... كانت مقاصير المسارح دارها ؟
راعت أراملها الحروبُ وخلفت ... فى حسرة لا تنقضى أبكارَها
من كل نافرة يدق فؤادها ... لم ينفر الظبى الغرير نفارها
نفرت من الحرب الضروس وربما ... كان النفار من الدلال شعارها
ما للتى ألف المزاهر سمعها ... وزئيرَ آلات الوغى وخُوارها ؟
حملت همومَ الحرب فى باريس مَن ... كانت يداها تشكوان سُوارها
كم غبَّرت بدخانها وجهاً إذا ... بصرت به شمس السماء أغارها
سائل عن القبلات أهليها أما ... زالت تحس شفاههم تيارها ؟
كيف القلوب الخافقات صبابة ... تفشى مواعيد الدجى أسرارها ؟
شهدت خمائلُها مواقع للهوى ... ما حركت من خيفة أطيارها
شتان بين مواقعٍ ومواقعٍ ... كلتاهما تشكو الضلوعُ أوارها

* * *

ما كنت يا باريس إلا روضة ... منيت بسأمة رعت أزهارها
أصمى الحضارةَ من رماك فإنما ... قد كان شعبك للبلاد أعارها
وجنت يداه على علوم طالما ... أجريتِ شرعتها وشدتِ جدارها
ما ضرنى إن لم أزرها طالباً ... وقد اقتبست العلم ممن زارها ؟
باريس أين دمشق أم بغداد هل ... قصَّتْ عليك رواتها أخبارها ؟
المدن مثـــل الناس فى آجالها ... تفنى البلاد إذا قضت أعمارها

محمود غنيم
مدرس بمدرسة فؤاد الأول الثانوية

ذكرى الهمشرى

للأستاذ مختار الوكيل

طويتْ بموتكَ صفحةُ الأحلامِ ... وخَبت بفقدكَ شعلة الإلهامِ
لا النهرُ عند الفجرِ يرقصُ عابثاً ... نزقا يُسِرُّ خوافتَ الأنغامِ
كلاَّ ولا البدرُ العظيمُ بمسعدٍ ... فى الليل مهجةَ حاملِ الآلامِ !

* * *

مُنْذُ انطلقتَ مع الصباحِ مُسَارِعًا ... بجناحِ مشتاقٍ ، صريعِ غرامِ
ونَزَعْتَ قَيْدَ الآدميةِ ساخراً ... من نِيرِه ، ونَأيْتَ دون سلامِ
عَلَّمْتَنِي أنَّ الحياةَ رخيصةٌ ... ما دام عُقباها شرابُ حِمامِ !
والمجدَ والآمالَ عُـلَّةُ ظامىءٍ ... فى البِيدِ ما يَحْظَى بِبَلِّ أُوامِ !

* * *

قد أجدبَ الروضُ النضيرُ وصَوَّحتْ ... أزهارُهُ وذَوَتْ على الأكمامِ !
والطيرُ شالَتْ عنهُ إلا بومةً ... قَبَعَتْ هناكَ حليفةَ الإظلامِ
تُحْيِي الأماسى بالنعيبِ فيالها ... من بومةٍ تشدُو بلحنٍ دامِ !
فَلَعَلَّها تبكيكَ فى غَسَقِ الدُّجى ... وتصوغُ مرثيةً من الأوْهامِ !
ولعلهـــا تأتى بلحنٍ صادقٍ ... وَتَنِي بِدَمْعٍ فى الخُطُوبِ سِجَامِ
ولَرُبَّ لحنٍ عابرٍ مُتَجَهِّمٍ ... يَذَرُ النهى نشوى بغَيْرِ مُدَامِ !

* * *

لَبَقِيتَ حتى فى خَفِيِّ سرائرى ... وخَلَدْتَ حتى فى نُهَى الأيامِ
فإذا هَجَعْتُ فأنْتَ فى أحلامِى ... وإذا مَشِيتُ فأنْتَ أنْتَ أمامِى !
عَجَبِى مِنَ الدُّنيا ! أأنْتَ مَعَ البِلَى ... أمْسَيْتَ كَوْمَةَ أعْظُمٍ وَحُطَامِ ؟
وَيْلُمِّها[1] ! مَا إنْ جَلَتْكَ يَتِيمَةً ... فى النـــاس حتى عَاجَلَتْكَ بِحَامِ

* * *

أسَفِى لِفَقْدِكَ لا يُعَادِلُهُ سِوَى ... سُخْرِى مِنَ الدُّنيا وَمِنْ آلامِى !
لا تَجْزَعَنَّ فَعَنْ قَرِيبٍ نَلْتَقِى ... فى عالمِ النِّسْيَانِ وَالأحْلامِ !
وهناكَ أُصْغِى للقريضِ تَصُوغُه ... فى نَسْجِكَ الحُرِّ الرفيعِ السامى
ونَقَرُّ لاَ هَمٌّ هُنَـــاكَ يَؤُمُّنَا ... مِنْ عَالَمِ الوَيْلاَتِ والإجْرَامِ !

مختار الوكيل

(١) ويلمها : أي ويل أمها . وهي لغة كثيرة الورود فى الشعر القديم